# الضوابط المعرفية والأسس المرجعية والمنهجية للتجديد الديني للفكر الإسلامي الحديث والمعاصر

# Cognitive controls, reference and methodologicalfoundations for religiousrenewal of modern and contemporaryIslamicthought

**د.حواس جابري**[1]

**جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة–الجزائر.**

**ملخص المقال:**

التجديد الديني من أهم قضايا الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر ذات البعد الإحيائي والإصلاحي من أجل ذلك كان من الضروري أن يضبط بضوابط تجعله لايحيد عن مساره من أجل ذلك جاءت هذه المداخلة لتكشف عن ضوابطه وأسسه المعرفية والمرجعية والمنهجية من خلال التراث الإسلامي القديم والحديث دون إغفال التجارب الإنسانية لتشكيل تكامل معرفي يجمع بين الأصالة والمعاصرة وخلصت المداخلة إلى جملة من النتائج كان أبرزها ضرورة وأهمية التجديد وإمكانيته بتظافر الجهود وتفعيل الآليات والأدوات التجديدية المتاحة.

**كلمات مفتاحية:** الفكر،التجديد الأسس،الضوابط

**Abstract:**

Religiousrenewalis one of the most important issues of modern and contemporaryIslamicthought, with a revivalist and reformist dimension. For thisreason, itwasnecessary to regulateitwithcontrolsthatwouldpreventitfromdeviatingfromitspath. For thisreason, this intervention came to revealitscontrols and cognitive, reference and methodologicalfoundationsthrough the ancient and modern Islamicheritagewithoutneglectinghumanexperiences to form a cognitive integrationthat combines authenticity and modernity. The intervention concludedwith a set of results, the mostprominent of whichwas the necessity and importance of renewal and itspossibility by combining efforts and activating the

**Keywords:** Thought, innovation, controls, foundations

## مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

لقد عرف تاريخ الفكر الإسلامي مراحل نمو وازدهار كان فيها الاجتهاد اجتهادياً واقعياً حياً متجددا يقوم على استنباط الأحكام من أصولها المرجعية وصياغتها بما يعالج مجريات الواقع ونوازله، ولكن ظهرت في تاريخ الأمة الإسلامية عوامل كثيرة أثّرت على العقل المسلم وسلبته في بعض مراحل تاريخه القدرة على تقديم إنتاج فكري يستجيب للمتغيّرات.

فقد أحاطت بالفكر الإسلامي في بعض أدواره التاريخية عوامل سياسية واجتماعية وعلمية تضخّم على إثرها في بعض الجوانب وضمر في جوانب حيوية غاية في الأهمية في معادلة النهضة الحضارية، كما تغيّرت بفعل تلك العوامل تشكيلة العاملين في الحقل المعرفي الإسلامي وتعددت اتجاهاتهم، الأمر الذي ترك آثاراً على مستوى المنهج والإنتاج،مما جعل سؤال التجديد في الفكر والتفكير الإسلامي يطرح نفسه ويفرض وجوده.

## الإشكالية:

لقد علمنا مما سبق أن الأمة الإسلامية قد أحاطت بها ظروف داخلية وخارجية أثرت على التفكير الإسلامي تأثيرا سلبيا في مناحي متعددة من حيث المنهج والمضمون، مما جعله عاجزا عن أداء دوره الفعال في الإجابة عن الأسئلة النهضوية والحيوية للأمة.

وهذا وغيره بلاريب يستدعي السعي الحثيث لإعادة التفكير والفكر الإسلامي إلى سالف عهده المشرق وتجديد معالمه وإحياء ماندثر منها،بيد أن هذه العملية التجديدية الإحيائية للفكر الإسلامي تبقى دعوى إن لم تؤسس على ضوابط دقيقة أصيلة،ومن أجل المساهمة في تحديد أهم الضوابط التي لابد أن يرتكز عليها تجديد الفكر الإسلامي جاءت هذه المداخلة لتجيب عن الإشكالية التالية:

**ماهي ضوابط التجديد الديني للفكر الإسلامي الحديث والمعاصر؟**

وتتفرع عنها التساؤلات الفرعية التالية:

ماهي الضوابط المرجعية للتجديد الديني للفكر الإسلامي الحديث والمعاصر؟

ماهي الضوابط المعرفية للتجديد الديني للفكر الإسلامي الحديث والمعاصر؟

ماهي الضوابط المنهجية للتجديد الديني للفكر الإسلامي الحديث والمعاصر؟

## عنوان المداخلة:

وللإجابة عن هذه الإشكالية تم بحث الموضوع تحت عنوان

"**الضوابط المعرفية والأسس المرجعية والمنهجية للتجديد الديني للفكر الإسلامي الحديث والمعاصر**

"

## أهمية الموضوع:

للموضوع أهمية كبيرة في السياق الحضاري والنهضوي للأمة يمكن أن نجملها فيما يلي:

1. للموضوع أهمية مرجعية دينية وتاريخية سننية تتمثل في كونه يرتكز على نصوص مقدسة من الوحي الحكيم من الكتاب والسنة الصحيحة
2. كما أنه يضبط التجديد بضوابط معرفية ومنهجية أصيلة من شأنه أن يحيي الفكر الإسلامي الأصيل ليؤدي دوره في البناء الحضاري للأمة ويحصنها من الفكر الدخيل.
3. ومن جهة أخرى بحث الضوابط يمكن من القدرة على التمييز بين الفكر الأصيل والدخيل وبين النافع والضار وبين ما هو مهم وما هو أهم تبعا للمراحل والأبعاد الزمكانية.

## أسباب اختيار الموضوع:

وكان وراء بحث هذا الموضوع عدة أسباب، أهمها:

1. ارتباط التجديد الديني للفكر الإسلامي بالنصوص الشرعية والسنن الكونية
2. كون التجديد ضرورة نهضوية وحتمية حضارية أملتها تحديات داخلية وخارجية
3. أهمية سؤال التجديد ضمن أسئلة النهضة الإسلامية على غرار سؤال الحضارة وسؤال التخلف...
4. كثرت دعاوى وصيحات التجديد في العصر الحديث التي تحيد في كثير من الأحيان عن التجديد المنشود.
5. انحراف الكثير من المنسوبين والمحسوبين على الفكر الإسلامي عن بعض القضايا الجوهرية باسم التجديد

## أهداف الموضوع:

وتتجلى أهمية هذه المداخلة في:

1. الكشف عن طبيعة التجديد للفكر الإسلامي في العصر الحديث
2. إبراز أهم الضوابط والأسس التي ينبغي أن يرتكز عليها الفكر الإسلامي
3. إظهار دور الاطر المرجعية المقدسة والسنن الكونية والتجارب الاجتهادية في ترشيد التجديد الفكري الإسلامي
4. التعرف على ملامح المنهج التجديدي البديل للفكر الإسلامي في مقابل صيحات التجديد المنحرفة
5. السعي لبعث وإحياء الفكر الإسلامي المتوازن الذي يجمع بين الأصالة والحداثة.

## الخطة:

وجاءت الخطة كالتالي:

**مقدمة:**

أولا: الضوابط المعرفية للتجديد في الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر

ثانيا: الأسس المرجعية للتجديد الديني للفكر الإسلامي الحديث والمعاصر

ثانيا: الأسس المنهجية للتجديد الديني للفكر الإسلامي الحديث والمعاصر

**خاتمة :**

## 1.الضوابط المعرفية للتجديد في الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر

---

### 1.1 التأصيل اللغوي للتجديد

عند النظر في معاجم اللغة نجد أم المادة اللغوية للتجديد تدور حول تصيير الشيء جديدا كقولهم جدد الوضوء والعهد، ويقال كبر فلان ثم أصاب فرحة وسرورا فجد جده كأنه صار جديدا، وثوب جديد جد حديثا أي قطع ويقال للرجل إذا لبس ثوبا جديدا أبل وأجد واحمد الكاسي ويقال بلي بيت فلان ثم أجد بيتا والجدة مصدر الجديد وأجد ثوبا واستجده وثياب جدد تجدد الشيء صار جديدا وأجده وجدده واستجده أي صيره جديدا والجديدان الليل والنهار وذلك لأنهما لا يبليان أبدا ويقال لا أفعل ذلك ما اختلف الأجدان والجديدان أي الليل والنهار[2].

عند التأمل في التعريف اللغوي نجد أن التجديد تجتمع فيه ثلاث دلالات متلازمة لاتنفك عن بعضها البعض وهي باختصار:

- أن الشيء المتجدد كان موجودا معروفا عند الناس لايخفى على أكثرهم على الأقل
- أن هذا الشيء طرأت عليه طوارئ فتغير على مر الزمن فاحتاج إلى تجديد وإعادته إلى أصله

---

[2]– ينظر،لسان العرب (3/ 107)،مقاييس اللغة (1/ 364)،الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية – دار العلم للملايين (2/ 454)

- أن ذلك الشيء قد أعيد إلى مثل الحالة الأولى التي كان عليها أو قريبا منها قبل أن تطرأ عليه الطوارئ التي غيرته عن أصله[3]

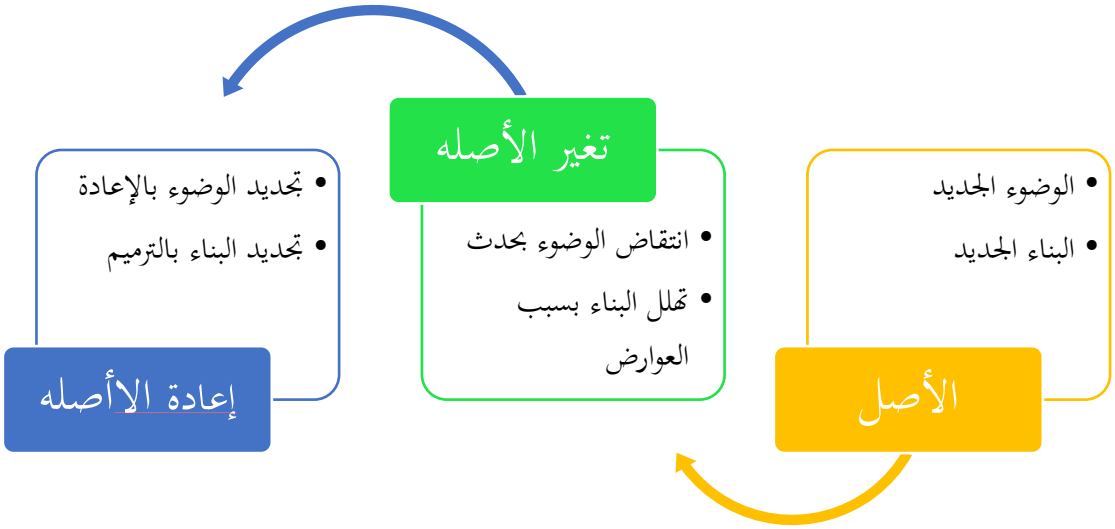


وقد جاءت مادة التجديد في القرآن الكريم تحمل الدلات السابقة في عدة مواطن فمن ذلك قوله تعالى: **{وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا }** [الإسراء: 49]،ذكر الطبري رحمه الله أن معنى الآية تكذيب الكفار منهم بقدرة الله، وجحودًا للثواب والعقاب والبعث بعد الممات واستبعاد إعادتهم كما كانوا أول مرة قبل وفاتهم[4].

ومن ذلك قوله سبحانه:**{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ}**: [سبأ: 7]، يشير الشنقيطي إلى معنى تغير الشيء وإعادته كما كان من خلال الآية في تفسير وذلك أن معنى الخلق الجديد البعث بعد الموت، بعدما ما تلاشى في الأرض من أجسادهم وعظامهم[5].

---

[3]– ينظر: بسطامي محمد سعيد خير، مفهوم تجديد الدين، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة –المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1433 هـ – 2012 م.

[4]– محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ – 2000 م،(346/16)

[5]– محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: 1393هـ)،أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان،الطبعة : 1415 هـ- 1995 م،(265/6).

ومن الآيات في نفس السياق التي تتضمن الدلالات السابقة قوله تعالى: وفي قوله تعالى: **{وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ}** [السجدة: 10]، وقوله تعالى: **{أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ }** [ق: 15]،فالآية تشير إلى الإعادة إلى الخلقة الأولى التي هي الإعادة والإعادة أسهل[6].

وهناك آيات تشير إلى التجديد بمفهوم الإعادة إلى الحالة الآولى بعد طوارئ طرأت عليه فمن ذلك، قوله تعالى:**{أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ}** [يس:77-79]،ومن ذلك قوله تعالى:**{كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ}** [الأعراف:29]، أي: كما خلقكم أولاً، فإنه يعيدكم مرة أخرى، ويبعثكم من قبوركم أحياء بعد أن متم وصرتم عظاماً، والآيات الدالة على هذا الوجه كثيرة جداً، كقوله: {**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا**} [الأنبياء:104]، وقوله: **{قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ}**[7].[يس:79]

وقد جاءت مادة التجديد بالمعاني السابقة في السنة النبوية فمن ذلك ما رواه محمد بن الأسود بن خلف عن أبيه: «**أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَهُ أَنْ يُجَدِّدَ أَنْصَابَ الْحَرَمِ عَامَ الْفَتْحِ**»[8]

فالمعروف الذي حدد الحرم بنصب أنصاب تعلمه هو إبراهيم عليه السلام فنصب أنصابا تعرف بها حدوده، فاحترمه العرب،وكانوا يجددونها باستمرار إلى أن بدا لقريش أن ينزعوها، ثم أعادوها كما كانت،ولما كان عام فتح مكة بعث النبي عليه الصلاة والسلام تميما بن أسد الخزاعي فجددها.ثم أحياها وأوضحها عمر بن الخطاب في خلافته سنة سبع عشرة[9].

فالحديث يدل بوضوح على دلالات التجديد الثلاثة التي ذكرناها في بداية الأمرة وجود الأنصاب ثم تغيرها ثم إعادتها إلى حالتها الأصلية.

ومن الأحاديث التي وردت فيها مادة التجديد ما أخرجه الحاكم في المستدرك من حديث أبي هريرة عن قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : « قال ربكم عز و جل لو أن عبادي أطاعوني لأسقيتهم المطر بالليل و لأطلعت عليهم

---

[6]- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، ت: محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – 1419 هـ،(371/7).

[7]- محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (13/2).

[8]- رواه سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)،المعجم الكبير، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية، (280/1)، برقم:816.

[9]- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1420هـ/2000م،(13/5).

الشمس بالنهار و لما أسمعتهم صوت الرعد و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : حسن الظن بالله من حسن العبادة و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : جددوا إيمانكم قيل: يا رسول الله وكيف نجدد إيماننا ؟ قال : أكثروا من قول لا إله إلا الله»[10]،فإن المداومة على الذكر تجدد الإيمان في القلب الذي أضعفته طوارئ الذنوب والغفلة....[11]

كما يمكن استنتاج مما سبق أن التجديد تكون له دوافع وأهداف ويقوم به جماعة كما في تجديد أنصبة الحرم وأفاد كما في حديث الإيمان أي التجديد لابد له من مجدد أو مجددين.

## 1.2 التأصيل المعرفي للتجديد

لقد اتضح مما سبق أن التجديد بمعناه اللغوي وفي الاستعمال القرآني والنبوي يتمحور حور إعادة الشيء إلى حالته الأولى المعهودة بعد تغير طرأ عليه وهذا لصفة أما التجديد بمعناه الخاص هو الذي يشير إليه حديث التجديد الذي رواه أبوداود وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنهعَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**»[12].

وعند التأمل فيما قاله شراح الحديث بخصوص تجديد أمر الدين نجده لا يخرج عن الدلالات اللغوية غير أنه تجديد خاص يتعلق بتجديد الدين الذي هو الإسلام الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم أول مرة وذلك بإرجاع الناس إلى ذلك التدين الصحيح بإزالة ما طرأ عليه من تغير وقد ذكر الشراح نماذج من التغير من ذلك ما ذكره المناوي بقوله:" (يجدد لها دينها) أي يبين السنة من البدعة"[13].

---

[10]– أخرجه محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ت : مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ، 1411 – 1990،(285/4)،برقم:7657،وقال:هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

[11]– ينظر: زين الدين بن علي بن زين العابدين المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ) ، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، 1356،(345/3).

[12]– رواه أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)،سنن أبي داود ت: شعَيب الأرنؤوط دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م،(349/6)،برقم:4291،والحديث صححه الحاكم والسيوطي وغيرهما ينظر: الحاكم،المستدرك،(567/4)،عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)الدر المنثور ، دار الفكر – بيروت،(768/1)

[13]– الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير مكتبة الإمام الشافعي الرياض، 1408هـ - 1988م ،الطبعة: الثالثة،(539/1).

فالأصل في التدين هو اتباع السنة ولكن بمرور الوقت تظهر عوارض وأمراض كالجهل وخفة الديانة تجعل الناس يبتعدون عن السنة ويقعون في البدعة فيقيض الله مجددين يحاربون البدعة.

وهذا مظهر من مظاهر تغير التدين وإلا فإن التغير يأخذ أشكال أخرى كسوء الفهم والخطأ في التطبيق وغياب وتغييب بعض أمور الدين أو تعذر تطبيقها.

وعليه يمكن الخلاص إلى أن تجديد الدين في الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر هو إرجاع الناس إلى التدين الصحيح بآليات منهجية منضبطة بضوابط الشرع ومقاصده بعدما طرأت عليه عوارض الزمان والمكان والحال بما يتماشى ومعطيات العصر ومتطلباته.

أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول دون المساس بنوع الخط أو حجمه أو حدود الصفحة، قم بعملية النسخ واللصق أو الكتابة المباشرة هنا دون تغيير، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول دون المساس بنوع الخط أو حجمه أو حدود الصفحة، قم بعملية النسخ واللصق أو الكتابة المباشرة هنا دون تغيير.

عند ذكر الآيات القرآنية تُذكر السورة ورقم الآية في المتن بعد الآية مباشرة

عند تخريج الأحاديث يكتفي الباحث بمصدر واحد على هذا الترتيب: الصحيحين، السنن، الموطأ، المسند، المصنف.

وعند اقتضاء ذكر درجة الحديث يكتفي الباحث بمصدر واحد من كتب التخريج المعتبرة.

تهميش الاقتباس يكون بنمط **[APA]** في المتن، إذا كان الاقتباس حرفيا يكون المصدر قبل النص المقتبس، والنص بين شولتين، مع ذكر الصفحة، مثاله: وجاء في مقدمة ابن خلدون (ابن خلدون، 1984، صفحة 55) :"....."

وإذا كان الاقتباس بتصرف أو بالمعنى أو بالاختصار يكون المصدر بعد نهاية النص المقتبس، ومثاله: ...ومن القضايا التي أوضحها علماء التاريخ.....(ابن خلدون، 1984).

عند شرح مصطلح من الناحية اللغوية يُهمش ذلك من مصدر واحد مثل لسان العرب، ومن الناحية الاصطلاحية من مصدر واحد.

رأي الباحث يُدرجه كله في المتن ولا يُكتب في الهامش شيئا.

## 2.الأسس المرجعية والمنهجية للتجديد الديني للفكر الإسلامي الحديث والمعاصر

### 2.1الأسس المرجعية للتجديد

لقد دلت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة على أن أي اصلاح في الأمة لابد أن ينطلق من الوحي ذلك أن الانحراف كان سببه الرئيس وهذا ما أكده الرسول صلى الله عليه وسلم في وصيته الأخيرة لأمته في خطبة الوداع،فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض "**[14]، الكتاب والسنة هما الأصلان اللذان لا عدول عنهما ولا هدى إلا بهما والعصمة والنجاة في التمسك بهما في جميع الأحوال[15].

إن الذى يحقق القوة، ويضمن النجاح للأمة، في مختلف مجالات الحياة المادية والروحية، هو الانطلاق من قاعدة مرجعية صلبة،تتخد القرآن الكريم مصدرا للفكر، والسنة النبوية الشريفة دليلا للعمل، فالإسلام بمرجعيته المقدسة هو الذي يحفظ للأمة شخصيتها، بالرغم مما تعرض لها من عوامل الفناء والاضمحلال[16].

والوحي بشقيه من شأنه إذا اعتمدناه في التجديد والإحياء أن يأتي أكله فالذي نقل أهل الجاهلية من الضلال إلى الهدى هو القرآن والذي زكاهم هو القرآن قال الله تعالى:((**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**))[الجمعة:02].

إن العبارة القرآنية «**وَيُزَكِّيهِمْ**» تحمل دلالات تجديدية غزيرة المعاني واسعة الشمول لمناحي الحياة الإنسانية فالتجديد المنطلق من الوحي يحي النفوس ويطهرها مما طرأ عليها ويطهر العمل والسلوك، وتطهير للحياة الزوجية، وتطهير للحياة الاجتماعية،كما يصلح العقائد والتصورات فيرجع الأمة إلى الاعتقاد الصحيح، وينقلها من الأساطير الغامضة إلى اليقين الواضح،ومن مجالات التزكية القرآنية التجديدية إخراج الأمة من رجس الفوضى الأخلاقية إلى نظافة الخلق الإيماني، إنها تزكية شاملة للفرد والجماعة[17].

فالرجوع إلى الوحي يمكن الأمة من تجديد أحوالها بالنقلة من حالة الضعف ولانحراف والجمود... إلى حال القوة والاستقامة والتمسك بالشرع من جديد، ومن وضع طارئ إلى وضع أفضل منه، ويكفي للاستدلال على ذلك بمقارنة حال العرب

---

[14]– رواه الحاكم في المستدرك،(17/1)،برقم: 319 .

[15]– ينظر: المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير،(907/1).

[16]– ينظر: عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: 1359هـ) مجالس التذكير من حديث مطبوعات وزارة الشؤون الدينية البشير النذير الطبعة: الأولى، 1403هـ - 1983م، ص25، من مقدمة الشيخ عبد الرحمن شيبان للكتاب.

[17]– ينظر، سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق - بيروت– القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - 1412 هـ،(6/ 3565).

قبل وبعد الإسلام، فالإسلام بمرجعيته المستمد من الوحي هو الذي نقلهم من طور القبيلة، واهتمامات القبيلة، وثارات القبيلة، على حين فجأة إلى أمة تقود البشرية، وترسم لها مثلها، ومناهج حياتها، وأنظمتها كذلك، في صورة غير معهودة في تاريخ البشرية الطويل[18].

فمما سبق يتبين لنا جليا أن التجديد في الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر لابد أن ينطلق من الوحي ليحي في الأمة ما ندرس في مجالاتها الحيوية المختلفة وعلى جميع المستويات تأسيا بالوظيفة النبوية الإحيائية التي أحيا بها العرب بإرجاعهم إلى الملة الحنيفية الإبراهيمية السمحة التي تضمنها دعاء إبراهيم عليه السلام في قول الله سبحانه و تعالى: ((**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ** )) [البقرة:129].

فالآية تشير بوضوح إلى مفهوم التجديد ومرجعيته ومجالاته كما نوضحه في هذا الشكل:

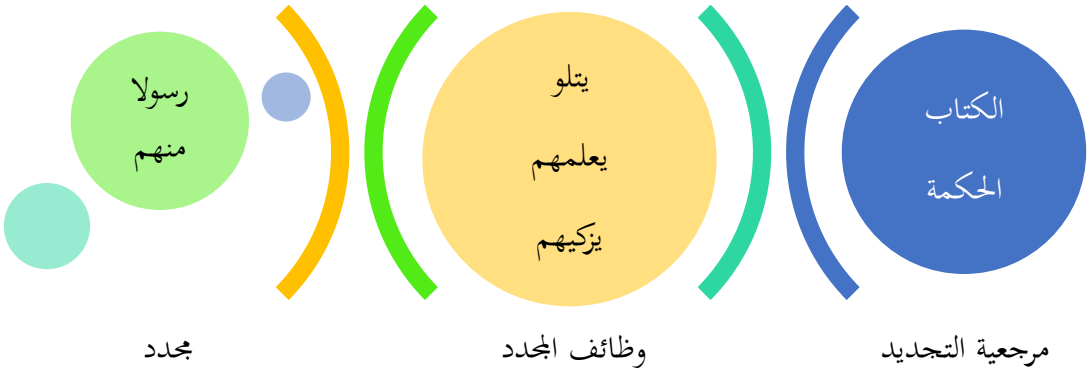


[18]– ينظر: علي بن نايف الشحود، خَصائِصُ المنْهَجِ الإسلاميِّ في القرآن الكريم، ص77.

## 2.2 الأسس المرجعية للتجديد الديني للفكر الإسلامي الحديث والمعاصر

لقد سبق أن بينا أن نصوص الوحي تشكل المرجعية الأصيلة التي تنطلق منها عمليات التجديد والإحياء ولكن فقه هذه النصوص وفهمها الصحيح لابد أن يكون وفق أسس مرجعية مستمدة من رجعية وصينة وفق آليات تعصم المجدد من مزالق الانحراف وفيما يلي بيان أهم هذه الأسس المرجعية للتجديد في الفكر الإسلامي:

### 1. فقه النص وفق لغة التنزيل:

لقد أسهب العلماء في بيان أهمية اللغة العربية وأثرها على فهم الشريعة وتنزيلها على واقع الأفراد والأمة ولعل من أول من أشار إلى ذلك الإمام الشافعي بقوله في الرسالة:" ومن جماع علم كتاب الله: العلمُ بأن جميع كتاب الله إنما نزل بلسان العرب"[19] ويمكن بيان تلك الأهمية في الجوانب التالية:

- ✓ أن الكتاب والسنة عربيان:

فالقرآن الكريم إنما نزل بلغة العرب، قال تعالى: **{ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا }** [يوسف: 2].

والرسول – صلى الله عليه وسلم – من العرب، وهو ذو لسان عربي فصيح قد آوتي جوامع الكلم

- ✓ معاني كتاب الله موافقة لمعاني كلام العرب

فظاهر كتاب الله والسنة النبوية ملائم لظاهر كلام العرب، فدلالات الألفاظ من الخاص والعام والمطلق والمقيد والمجاز والإيجاز ...كلها مستمدة من كلام العرب

فإذا عُلم ذلك فإن فهم مراد الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم – متوقف على فهم لغة العرب ومعرفة علومها؛ فعلى كل مسلم أن يتعلم من هذه اللغة ما يقيم به دينه[20]

وقد أشار الشاطبي في الموافقات إلى قضايا غاية في الأهمية ومن ذلك أن الشريعة عربية، وإذا كانت عربية؛ فلا يفهمها حق الفهم إلا من فهم اللغة العربية حق الفهم؛ ويتفاوت الناس في فهم الشريعة بقدر التفات في فهم العربية ،فإن انتهى إلى درجة الغاية في العربية كان كذلك في الشريعة؛ فكان فهمه فيها حجة كما كان فهم الصحابة وغيرهم من الفصحاء

---

[19]– الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ)، الرسالة، أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، 1358هـ/1940م، ص34.

[20]– ينظر: محمَّد بنْ حسَيْن بن حَسنْ الجيزاني، معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة دار ابن الجوزي الطبعة، الطبعة الخامسة، 1427 هـ، ص370.

الذين فهموا القرآن حجة، فمن لم يبلغ شأوهم؛ فقد نقصه من فهم الشريعة بمقدار التقصير عنهم، وكل من قصر فهمه لم يعد حجة، ولا كان قوله فيها مقبولا، فلا بد من أن يبلغ في العربية مبلغ الأئمة فيها[21].

ويستفاد من كلام الشاطبي وغيره من الأئمة أن العربية مهمة للمجدد الذي يتصدى لعمليات التجديد باعتباره مجتهدا في نصوص الشرع في المجال الذي يمارس فيه عمليات التجديد.

وقد تتعدى أهميتها إلى التأثير في سلوكه وطبعه وشخصيته وهذا ما يشير إليه ابن تيمية، فقد ذكر أن الاهتمامباللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيرا قويا بينا ويؤثر أيضا في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين ممايزيد في العقل والدين والخلقثم ذكر أن اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب إضافة إلى وظيفتها في فهم الكتاب[22].

فمما سبق يتبين أنالفهم الصحيح للنصوص المرجعية للتجديد في الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر يستمد من لغة العرب في عصر التنزيل، وليس بحسب ما تولَّد بعد ذلك واستجد فيها من معان،وقد قامت جهود ضخمة لحفظ لغة القرآن وبقائها حية مستمرة، مع تطاول العهد وتطور اللسان العربي وتغيره[23].

ومن ثمة فإن التجديد في اللغة العربية بالرجوع بها إلى لغة التنزيل واعتمادها كلغة لفهم التدين وتفعيل دورها في عمليات التجديد الديني حلقة ضرورية في دورة التجديد الحضاري المعاصر.

## 2.فقه النصوص وفق النظرة الموضوعية المتكاملة:

وذلك بجمع النصوص في القضايا التجديدية ذات الوحدة الموضوعية الواحدة والجمع والتأليف بينها للخروج بتصور صحيح إزاءها وقد أشار ابن تيمية إلى ذلك وجعله من أحسن طرق فهم النصوص مع الضابط السابق –العلم بلغة التنزيل–،فذكر أن أصح طرق الفهم أن يفسر القرآن بالقرآن ؛ فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر وما اختصر من مكان فقد بسط في موضع كما ذكر أن السنة شارحة للقرآن وموضحة له.[24]

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق التأكيد على أهمية السنة في العملية التجديدية المعاصرة، ومن أجل ذلك استفاض العلماء في بيان علاقتها بالقرآن والاجتهاد والتشريع عموما فمن أولئك ابن القيم الذي حدد علاقتها مع القرآن في ثلاث أوجه:

- ✓ أحدها: أن تكون موافقة له من كل وجه؛ فيكون توارد القرآن والسنة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتظافرها.

---

[21]– إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ)، الموافقات، ت: مشهور بن حسن آل سلمان الناشر: دار ابن عفان الطبعة: الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م،(53/5)، بتصرف.

[22]– ينظر:أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم،مطبعة السنة المحمدية – القاهرة الطبعة الثانية ، 1369،ص207.

[23]– ينظر: بسطامي محمد سعيد، خير مفهوم تجديد الدين، ص32.

[24]– تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى : 728هـ)، مجموع الفتاوى الناشر : دار الوفاء الطبعة : الثالثة ، 1426 هـ / 2005 م،(363/13).

- ✓ الثاني: أن تكون بيانا لما أريد بالقرآن وتفسيرا له،وذكر لذلك امثلة منها؛تحريم المرأة على عمتها ولا على خالتها.
- ✓ الثالث: أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن عن إيجابه أو محرمة لما سكت عن تحريمه، ولا تخرج عن هذه الأقسام، فلا تعارض القرآن بوجه ما، فما كان منها زائدا على القرآن فهو تشريع مبتدأ من النبي -صلى الله عليه وسلم- تجب طاعته فيه[25].

ومع هذه الرؤية الموضوعية لابد من الرجوع في فهم النصوص إلى مصادر تفسيرها وشرحها المعتمدة ككتب التفسير وشروح الحديث وكتب مختلف الحيث ومشكل الآثار، ويعين على ذلك التمكن والتمرس على آليات الاجتهاد وأدواته المنهجية من معرفة اللغة كما سبق والقواعد الأصولية والفقهية.

ولعل المجدد الملتزم بتلك الضوابط يتعدى دوره إلى نقد ونقض التجديد المزعوم وهو ما بينه ابن تيمية بقوله:" فما في تفسير القرآن أو نقل الحديث أو تفسيره من غلط فإن الله يقيم له من الأمة من يبينه ويذكر الدليل على غلط الغالط وكذب الكاذب فإن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة ولا يزال فيها طائفة ظاهرة على الحق حتى تقوم الساعة إذ كانوا آخر الأمم فلا نبي بعد نبيهم بعدهم ولا كتاب بعد كتابهم.

وكانت الأمم قبلهم إذا بدلوا وغيروا بعث الله نبيا يبين لهم ويأمرهم وينهاهم ولم يكن بعد محمد نبي وقد ضمن الله أن يحفظ ما أنزله من الذكر وأن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة بل أقام الله لهذه الأمة في كل عصر من يحفظ به دينه من أهل العلم والقرآن وينفي به تحريف الغالين وانتحال المضلين وتأويل الجاهلين"[26].

كانت هذه بعض ضوابط التجديد التي من شأنها أن تعصم المجدد المعاصر من مزالق التجديد غير المنضبط الذي قد يأتي بنتائج تنعكس سلبا على الأمة وتلحق بها أضرار من حيث يدري أو لايدري المجدد الذي لم ينضبط بضواطالاجتهاد،كما تكسب المجدد مهارات كشف الانحرافات في الفهم والنقل والتنزيل الواقعي الصادر عن غير المؤهلين من مدعي لتجديد،والتصدي لها بالحجة والبرهان.

## 3.2 الأسس المنهجية للتجديد الديني للفكر الإسلامي الحديث والمعاصر

---

[25]– أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (المتوفى: 751 هـ)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1423 هـ،(84/4).

[26]– أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح دار العاصمة – الرياض الطبعة الأولى،(39/1).

لقد أفاض العلماء والمفكرون لا سيما الأصوليون منهم في بيان الأسس المنهجية من خلال بيان مفهوم الاجتهاد وشروط المجتهد وقضايا الاجتهاد المختلفة،والذي يهمنا في هذا السياق التجديدي في الوقت الراهن استثمار التراث الأصولي والفكري الإسلامي ومناهج الأصوليين باعتبارها أدوات منهجية ضرورية لانضباط الاجتهاد المعاصر وفق الرؤية التجديدية.

فعند النظر في تعريفات الاجتهاد نجدها متقاربة في مضمونها وإن اختلفت عباراتها، مستعينين في ذلك بالدلالة اللغوية.

## 1. الدلالة اللغوية للاجتهاد وعلاقتها بالتجديد

فعند الرجوع إلى المعاجم اللغوية نجد أن الاجتهاد مشتق من جهد الذي أصله يدل على المشقَّة، ثم يُحمَل عليه ما يقارِبُه من المعاني، يقال جَهَدْتُ نفسي وأجْهَدت والجُهْد الطَّاقَة، ويقال إن المجهود اللبن الذي أخرج زبده، ولا يكاد ذلك يكون إلا بمشقة ونصب[27].

التعريف اللغوي يشير إلى أمور في دلالة الاجتهاد مناسبة للفعل التجديدي أجملها فيما يلي:

- لفظة الاجتهاد تدل على المشقة ولاريب أن التجديد بدلالاته المعرفية السلفة عملية شاقة مجهدة
- الاجتهاد يدل على أن المجتهد يبذل جهده ويستفرغ طاقته،كذلك المجدد لايحصل على بغيته ولايحقق أهدافه إلا إذا استفرغ طاقاته وامكاناته المتاحة.
- إذا كان المجهود هو اللبن الذي أخرج زبده بفعل المجتهد فإن فعل المجدد ينتج زبد التجديد ويستخرج ثمرته ولبه وهو إرجاع الأشياء إلى أصله الأول وحالته الطبيعية الجيدة....

ويمكن أن نوضح هذه العلاقة التناسبية بين دلالة الاجتهاد والتجديد التناسبية في الشكل التالي:

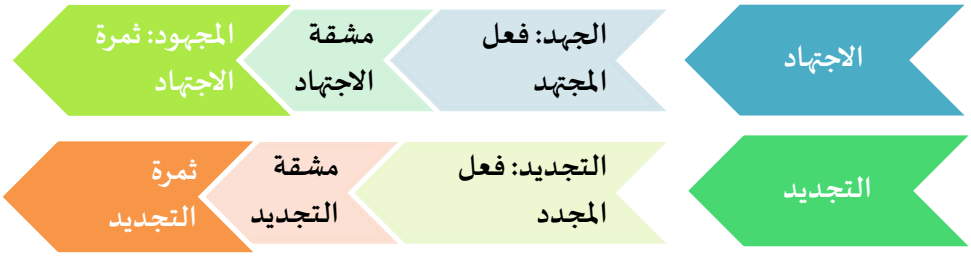


وقد جاءت الدلالة اللغوية في القرآن الكريم في قوله: قال الله تعالى: **{والَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إلا جهدهم}** [التوبة 79]،والآية نزلت في سياق الرد على المنافقين الذي لمزوا المؤمنين الذين اجتهدوا في النفقة بقدر جهدهم ورغم مشقتهم وبذل وسعهم

---

[27]– ينظر،ابن فارس معجم مقاييس اللغة،(487/1).

فالآية بتمامها،((**الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**)) (التوبة:79)[28].

فهؤلاء المؤمنين انبعثوا إلى الصدقة عن طواعية نفس، ورضا قلب، واطمئنان ضمير، ورغبة في المساهمة في الجهاد كل على قدر طاقته، وكل على غاية جهده.

في حين أن المنافقين لا يدركون بواعث هذا التطوع في النفوس المؤمنة،وحساسية الضمير التي لا تهدأ إلا بالبذل عن طيب خاطر،و المشاعرالرفرافة التي تنبعث انبعاثاً ذاتياً، لتلبي دواعي الإيمان والتضحية والمشاركة. من أجل هذا يقولون عن المكثر: إنه يبذل رياء، وعن المقل! إنه يذكر بنفسه، يجرحون صاحب، فلا يسلم من تجريحهم وعيبهم أحد من الخيرين[29].

فالآية الكريمة قد أضفت بعض لإضافات الدلالية غاية في الأهمية والمناسبة لعملية التجديد المعاصر،وذلك أن التجديد باعتباره مجهود لنيل مطلوب لابد له من صدق وحب يحمل على تحمل المشقة والتضحية بكل نفيس،ومواجهة كل أذى يعترض الطريق مهما بلغ حجمه،ومن ثمة فالتجديد قضية سننية تحكمها سنن الآفاق والأنفس كسنة التدافع[30] والتسخير وغيرها من السنن الاجتماعية والكونية.

## 2.الدلالة الاصطلاحية للاجتهاد وعلاقتها بالتجديد

ذكرت آنفا أن تعاريف الاجتهاد في عبارات الأصوليين متقاربة فمن تلك التعاريف ما ذكره الشوكاني في كتابه إرشاد الفحول حيث عرفه بقوله بعدما عرفه في اللغة :" وأما في عرف الفقهاء: فهو استفراغ الوسع في النظر فيما لا يلحقه فيه لوم، مع استفراغ الوسع فيه، وهذا سبيل مسائل الفروع، ولذلك تسمى هذه المسائل مسائل الاجتهاد، والناظر فيها مجتهدًا، وليس هكذا حال الأصول،وقيل: هو في الاصطلاح: بذل الوسع في نيل حكم شرعي عملي، بطريق الاستنباط، فقولنا: بذل الوسع يخرج ما يحصل مع التقصير، فإن معنى بذل الوسع: أن يحس من نفسه العجز عن مزيد طلب"[31].

---

[28]– ينظر: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، أسباب نزول القرآن، ت: عصام بن عبد المحسن الحميدان ، دار الإصلاح – الدمام، الطبعة: الثانية، 1412 هـ - 1992 م،(254/1).

[29]– ينظر: سيد قطب،في ظلال القرآن،(3/ 1681).

[30]– ينظر: عَلي محمد الصَّلاَّبي، تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم (أنواعه – شروطه وأسبابه – مراحله وأهدافه) مكتبة الصحابة، الشارقة – الإمارات، مكتبة التابعين، مصر – القاهرة الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م،ص79.

[31]– محمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفى : 1250هـ)،إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، ت: الشيخ أحمد عزو عناية ، دمشق – كفر بطنا،دار الكتاب العربي الطبعة : الطبعة الأولى 1419هـ - 1999م، (205/2).

لقد تضمن هذا التعريف تقريبا نفس الدلالات التي تستفاد من التعريف اللغوي مع الإشارة إلى خصوصيات الاجتهاد الإسلامي التي يمكن أن نجملها فيما يلي:

– أن الاجتهاد هو بذل الوسع في النظر في الأدلة الشرعية لأن الاجتهاد الإسلامي لابد أن ينطلق من الدليل الأصلي الوحي أو الفرعي كالقياس والاجماع والمصالح...وفي ذلك إشارة إلى أن التجديد لاينبغي أن يحيد عن هذا الأساس المنهجي المهم.

– أن الاجتهاد لا يصدر إلا من فقيه، عالم بالأدلة وكيفية الاستنباط منها؛ إذ النظر في الأدلة لا يتأتى إلا ممن كان أهلاً لذلك،ويؤخذ من هذا الأساس المنهجي أن التجديد المعاصر ينبغي أن يتصدى له المتخصصون أصحاب الأهلية في المجال الذين يمارسون فيه عملية التجديد على المستوى الفردي أو الجمعي.

– أن الاجتهاد قد ينتج عنه القطع بالحكم أو الظن به، وذلك ما تضمنه قيد "لاستنباط"، وهذ أساس منهجي غاية في الأهمية فلا ينبغي أن ينظر إلى قضايا التجديد أنها قطيعة ولا يغتر بجديتها فلا تتعدى كونها اجتهادات بشرية ظنية تتغير بتغير الزمان والمكان والأحوال،كما هي عرض للنقد والنقض والخطأ والزلل،وفي الوقت نفسه ينظر إليه بعين العدل والانصاف.

– وقد تضمن قيد "لاستنباط" أيضًا بيان أن الاجتهاد إنما هو رأي المجتهد واجتهاده، وذلك محاولة منه لكشف حكم الله، ولعل هذا الأساس يشير إلى حرية المجتهد والمجدد بغض النظر ثمرة اجتهاده وتجديده مادام هو أهل لذلك[32].

وهذا أساس ضروري للتشجيع على التجديد والاجتهاد في نوازل الفكر الإسلامي المتجددة باستمرار،فالحجر على أصحاب الأهلية من المجددين،وقصر الأمر على أعيان مخصوصين يحرم الأمة من جهود ورؤى تمس الحاجة إليها ولعل في الهدي النبوي مايقوي هذا الأساس الذي يشجع على إبداء الرأي فمن ذلك ما جاء **عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ:" قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَنَا لَمَّا رَجَعَ مِنْ الْأَحْزَابِ لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ فَأَدْرَكَ بَعْضَهُمْ الْعَصْرُ فِي الطَّرِيقِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ نُصَلِّي لَمْ يُرَدْ مِنَّا ذَلِكَ فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ"**[33].

قال ابن حجر في شرحه للحديث:" وقد استدل به الجمهور على عدم تأثيم من اجتهد لأنه صلى الله عليه وسلم لم يعنف أحدا من الطائفتين فلو كان هناك إثم لعنف"[34]

## 3.استمرارية الاجتهاد وعلاقتها بالتجديد

---

[32]– ينظر: تفصيل هذهالأسس من الناحية الأصولية:محمَّد بنْ حسَيْن بن حَسنْ الجيزاني معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة،ص464.

[33]– رواه البخاري،كتاب الجمعة،باب صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء،(499/3)،برقم: 894.

[34]– ابن حجر، فتح الباري،(410/7).

لقد طال الحديث حول قضية سد باب الاجتهاد وتحديد الاجتهاد بفترة زمنية سالفة وقد تصدى الكثير من المحقيقين[35] لهذه القضية الحساسة ونقضوها بالدليل والواقع فمن رجع إلى كتب تاريخ التشريع الإسلامي عامة، وكتب طبقات الفقهاء، تيقن وجود هؤلاء المجتهدين[36]

ومن أولئك العلامة الصنعاني بقوله:" إن سد باب الاجتهاد على العلماء الأكفاء من جنايات التقليد على الأمة قال الشوكاني فإن هذه المقالة بخصوصها أعني انسداد باب الاجتهاد لو لم يحدث من مفاسد التقليد إلا هي لكان فيها كفاية ونهاية فإنها حادثة رفعت الشريعة بأسرها استلزمت نسخ كلام الله ورسوله وتقديم غيرهما واستبدال غيرهما بهما"[37].

غير أن الاجتهاد المقصود هو ذلك الاجتهاد المنضبط بضوابط وأسس الاجتهاد التي قررها علماء الأمة عبر العصور، ولا يعني فتح باب الاجتهاد والتجديد السماح لمن شاء أن يقول ما يشاء وهذا ما يجعلنا نذكر ونؤكد على ضابط آخر منهجي في العنصر الموالي.

4.الثابت والمتغير في الاجتهاد وعلاقته بالتجديد المعاصر:

لقد بين علماء الأصول بوضوح، وجلاء الثابت من الدين الذي لايجري فيه التغيير والتبديل ولا يسوغ، وما يجري فيه ويسوغ بتبدل الظروف والأحوال وهذا مجال رحب للمجتهدين والمجددين، وممن خاض في هذه القضية الحساسة الإمام الشاطبي الأندلسي فقد صنفها ومثل لها

## أ.الثابت:

الثوابت هي العوائد الشرعية التي أقرها الدليل الشرعي أو نفاها، ومن أمثلتها الأمر بإزالة النجاسات، وستر العورات، والنهي عن الطواف بالبيت على العري، وما أشبه ذلك من العوائد الجارية في الناس الداخلة تحت أحكام الشرع، فلا تبديل لها وإن اختلفت آراء المكلفين فيها، فلا يصح أن ينقلب الحسن فيها قبيحا ولا القبيح حسنا[38]

فلو جاء في العصر الحديث من يوصله اجتهاده إلى الخروج عن تلك الثوابت التي هي من احكام الشرع كستر العورة فلا يقبل منه مهما كانت المبررات ولا يضر هذا الرفض تجديد الدين كما بيناه بشيء.

---

[35]– منهم: بابن القصار المالكي البغدادي ت 397 ،أبو الحسن علي بن محمد الماوردي ت 405 أبو محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري ت 456 هـ، القاضي حسين بن محمد بن أحمد المروزي ت 462 هـ ،ابن عقيل الحنبلي ت 514 أبو محمد الحسين بن مسعود اللغوي المعروف بابن الفراء ت 516 هـ،ينظر: محمد بن إسماعيل الصنعاني إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد سنة الولادة 1099/ سنة الوفاة 1182 ت: صلاح الدين مقبول أحمد ا الدار السلفية ، 1405 الكويت، ص28.

[36]– محمد مصطفى الزحيليالوجيز في أصول الفقه الإسلامي دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – سوريا الطبعة: الثانية، 1427 هـ - 2006 م (305/2)

[37]– محمد بن إسماعيل الصنعاني إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد سنة الولادة 1099/ سنة الوفاة 1182 ت: صلاح الدين مقبول أحمد ا الدار السلفية ، 1405 الكويت، ص28.

[38]– الشاطبي،الموافقات،(488/2).

وتجدر الإشارة ههنا إلى امر مهم وهو التأكيد على ثبات الأصول التي تنبثق منها الثوابت في الفروع لذاك يحرص دعاة التجديد المنحرف إلى تحريفها بدعوى التجديد كالمناداة بالتجديد في أصول الفقه وقواعده الثابتة[39].

**ب.المتغير:**

وأم المتغير فهي العوائد الجارية بين الخلق بما ليس في نفيه ولا إثباته دليل شرعي،فمنها:

– ما يكون متبدلا في العادة من حسن إلى قبح، وبالعكس، مثل كشف الرأس، فإنه يختلف بحسب البقاع في الواقع، فهو لذوي المروءات قبيح في البلاد المشرقية، وغير قبيح في البلاد المغربية.

– ما يختلف في التعبير عن المقاصد، فتنصرف العبارة عن معنى إلعبارة أخرى، كاختلاف العبارات بحسب اصطلاح أرباب الصنائع في صنائعهم مع اصطلاح الجمهور

– ما يختلف في الأفعال في المعاملات ونحوها، كما إذا كانت العادة في النكاح قبض الصداق قبل الدخول، أو في البيع الفلاني أن يكون بالنقد لا بالنسيئة، أو بالعكس، أو إلى أجل كذا دون غيره، فالحكم أيضا جارٍ على ذلك[40].

فتقسيم الشاطبي ميز بوضوح بين الثابت والمتغير في الاجتهاد الاصولي الذي ينهجه المجتهد في استنباط الاحكام و تنزيلها على الواقع ويقاس على ذلك التجديد الديني على مر العصور لكونه فرعا عنه، فالمجدد لا ينضبط تجديده في العصر الحديث والمعاصر إلا إذا فقه الثوابت والمتغيرات وفق الرؤية المعرفية و المرجعية والمنهجية للتجديد التي سلف بيانها.

من خلال ما سبق يمكن التوصل إلى حوصلة الضوابط والأسس المعرفية والمرجعية والنهجية للتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر التي تتمحور حول مرجعية الوحي وفهمه في ضوء أليات وأسس أصيلة منبثقة من تراث الأمة وتنزيلها وتفعيلها في مجال التجديد المعاصر وفق منهجية منضبطة تجمع بين الأصالة و المعاصرة و العقل والنقل والتراث الإسلامي والتراث الإنساني

---

[39]– ينظر: بسطامي محمد سعيد خير مفهوم تجديد الدين،ص234.

[40]– الشاطبي،الموافقات،(488/2).

## خاتمة:

لقد أسفرت المداخلة على جملة من النتائج يمكن إجمالها فيما يلي:

1.ضرورة الضبط المعرفي لمصطلح التجديد لسد باب التأويلات والانتحالات الباطلة وإعطائه الصبغة الشرعية الأصيلة المنبثقة من لغة التنزيل وأصوله المقدسة، ذلك أن الكثير ممن خاضوا في التجديد المعاصر استبعدوا بقصد أو بغير قصد لغة التنزيل واستبدلوها باللغة المعاصرة التي تغيرت دلالاتها كما أهملوا التحاكم إلى مرجعية النص بشكل جزئي أو كلي تحت مبررات مختلفة لا يستسيغها المنهج العلمي للبحث في العلوم الإسلامية.

2.التجديد حقيقة دينية كونية وتشريعية دل عليها التاريخ والواقع وأيدها الشرع فقها وتنزيلا، ويدرك ذلك كل من تأمل في النظام الكوني في الآفاق والأنفس والحركات التجديدية والإصلاحية والتجارب الدعوية التي مرت بها البشرية عبر العصور.

3.للتجديد ضوابط وأسس كثيرة يمكن حصرها في مجالات منها المعرفية والمنهجية والمرجعية، هذه الثلاثة متكاملة تشكل حلقات مترابطة ومتناسقة تبدأ بتحديد المفهوم وصناعة المضمون ومنهجية تنزيله وتفعيله

4.التراث الإسلامي كفيل بمد وظيفة التجديد والمجدد بكل الآليات والأدوات الكافية لإنجاحه، بدءا بالكتاب والسنة وتفسيرهما وشرحهما وانتهاء بكل ما اتصل بهما من علوم شرعية ولغوية وإنسانية

5.التجديد كغيره من قضايا الأمة الحيوية يواجه تحديات ومشاكل وصعوبات على الصعيدين الداخلي والخارجي، لاسيما في العصر الحديث الذي كثرت فيه التيارات والمذاهب والأفكار في العالم الإسلامي وخارجه، والتي أصبحت تستقبل من قبل أبناء المسلمين مباشرة وتتدفق عليهم بدون حارس بوابة في ظل الثورة التكنولوجية والإعلامية والاتصالية.

6.التجديد في العصر الحديث والمعاصر تمس له الحاجة أكثر لدواعي كثيرة كبعد الأمة عن فهم دينها وتطبيقه وانبهارها بالآخر، حيث قوية الصدمة الحضارية واتسعت الهوة بين العالم الإسلامي والغربي.

# المصادر والمراجع:


القرآن الكريم

1. إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم ، ت: محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – 1419 هـ.
2. إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ)، الموافقات، ت: مشهور بن حسن آل سلمان الناشر: دار ابن عفان الطبعة: الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م.
3. أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى : 728هـ)، مجموع الفتاوى الناشر : دار الوفاء الطبعة : الثالثة ، 1426 هـ / 2005 م.
4. أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، مطبعة السنة المحمدية – القاهرة الطبعة الثانية ، 1369.
5. أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح دار العاصمة – الرياض الطبعة الأولى.
6. بسطامي محمد سعيد خير، مفهوم تجديد الدين، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1433 هـ – 2012 م.

7. زين الدين بن علي بن زين العابدين المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ) ، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، 1356.
8. زين الدين عبد الرؤوف المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير مكتبة الإمام الشافعي الرياض، 1408هـ – 1988م ،الطبعة: الثالثة.
9. سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)،سنن أبي داود ت: شعَيب الأرنؤوط دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى، 1430 هـ – 2009 م.
10. سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، المعجم الكبير، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية.
11. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق – بيروت– القاهرة، الطبعة: السابعة عشر – 1412 هـ.
12. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)الدر المنثور ، دار الفكر – بيروت.
13. عَلي محمد الصَّلاَّبي، تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم (أنواعه – شروطه وأسبابه – مراحله وأهدافه) مكتبة الصحابة، الشارقة – الإمارات، مكتبة التابعين، مصر – القاهرة الطبعة: الأولى، 1422 هـ – 2001 م.
14. عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: 1359هـ) مجالس التذكير من حديث مطبوعات وزارة الشؤون الدينية البشير النذير الطبعة: الأولى، 1403هـ – 1983م.

15.علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، أسباب نزول القرآن، ت: عصام بن عبد المحسن الحميدان ، دار الإصلاح – الدمام، الطبعة: الثانية، 1412 هـ - 1992 م.
16.محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1420هـ/2000م.
17.محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ت : مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ، 1411 – 1990.
18.محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ)، الرسالة، أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، 1358هـ/1940م.
19.محمَّد بنْ حسَيْن بن حَسنْ الجيزاني، معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة دار ابن الجوزي الطبعة، الطبعة الخامسة، 1427 هـ
20.محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (المتوفى: 751 هـ)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1423 هـ.
21.محمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفى : 1250هـ)،إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، ت: الشيخ أحمد عزو عناية ، دمشق – كفر بطنا،دار الكتاب العربي الطبعة : الطبعة الأولى 1419هـ - 1999م.
22.محمَّد بنْ حسَيْن بن حَسنْ الجيزاني معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة.
23.محمد مصطفى الزحيلي الوجيز في أصول الفقه الإسلامي دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – سوريا الطبعة: الثانية، 1427 هـ - 2006 م.
24.محمد بن إسماعيل الصنعاني إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد سنة الولادة 1099/ سنة الوفاة 1182 ت: صلاح الدين مقبول أحمد ا الدار السلفية ، 1405 الكويت
25.محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.
26.محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : 1393هـ)،أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان،الطبعة : 1415 هـ- 1995 مـ.